

نحو أطلس وطني عراقي

الاستاذ الدكتور صالح فليح حسن الهييتي
قسم الجغرافية - كلية الآداب - جامعة بغداد

لقد أظهرت تجربة إصدار أطلس قومي عربي التي تبناها اتحاد الجامعات العربية ، ان هناك نقصا كبيرا لدى الأقطار العربية يتمثل بافتقارها جميعا الى أطالس وطنية خاصة بها ، فلا يوجد قطر عربي يمتلك أطلس عربي خاص به .

وبالرغم من ان هناك محاولات اصدار أطالس وطنية في هذه الأقطار منذ فترة ليست بالقصيرة ومبكرة كالأطلس الوطني المصري الذي بدأ مشروعه منذ بداية الربع الثاني من القرن العشرين (عام ١٩٢٥ م) وصدر جزءه الأول عام ١٩٢٨ م ، الا انه توقف عند الجزء الطبيعي ، وكما يقول عنه الدكتور ماهر الليثي : (أصبحت خرائطه تاريخية)^(١) . ولم يستمر مشروع الأطلس الوطني المغربي الذي بدأ عام ١٩٥٥ م . وكذلك لا زال مشروع الأطلس الوطني السعودي يراوح في مكانه رغم صدور بعض الخرائط الخاصة بالسكان . أما الاطلس الوطني الليبي فقد كلفت مؤسسة أسلين السويدية بطبعه فأصدرت أطلسا يشبه الأطالس التجارية العامة^(٢) . وهذا يؤكد النقص الكبير في مجال الكارتوجرافيا لدى العرب .

لقد تنبّهت الى ذلك الصهيونية فعملت منذ عام ١٩٥٢ م على طرح مشروع (أطلس اسرائيل) وصدرت أولى أجزاءه عام ١٩٥٦ م باللغة العبرية ، ثم أكتملت أجزاءه العشرة عام ١٩٦٤ م ، ثم تُرجم الى اللغة الانكليزية وصدر كاملا بمجلد واحد عام ١٩٧٠ م من مطابع أمستردام في هولندا^(٣) .

أما في العراق فبالرغم من اصدار أطالس متفرقة فكلها تتضوي تحت مفهوم الأطالس العامة أو المدرسية أو التجارية ومن تلك على سبيل المثال أطلس العراق الابتدائي^(٤) ، وأطلس العراق التعليمي^(٥) وأطلس العراق الاداري^(٦) . وهكذا لم يخطر ببال المعنيين سواء من المختصين وهم قلة أو دوائر المساحة المدنية أو العسكرية الاعداد لمثل هذا المشروع بالرغم من ان أول خارطة في العالم قد رُسمت على الطين في هذا البلد^(٧) .

ان ذلك يدعونا الى معرفة تطور اعداد الأطالس الوطنية علما بان كلمة أطلس بمفهومها الاصطلاحي الحديث (كمصور جغرافي يضم مجموعة من الخرائط المجدة) قد وفدت الى اللغة العربية من اللغات الاجنبية . أما كلمة أطلس العربية فتعني الخلق (البالي) يقال رجل أطلس الثوب وذنب أطلس فهو الذي في لونه غبرة الى السواد^(٨) . وكل ما كان على لونه فهو أطلس .

أما عن أول أطلس وطني يخص قطرا أو منطقة بذاتها فيشير فريمان (الى انه يمكن الادعاء بان أطلس بارثليمو الذي صدر عام ١٨٩٥ م عن اسكتلندا ، أي قبل قرن ، يعتبر أول الأطالس الوطنية ، الا انه عن جزء من بريطانيا) . الا انه يرجح ان الاطلس الفنلندي الذي صدر عام ١٨٩٩ م يعتبر أول أطلس وطني ، ويحق للفنلنديين ان يفخروا بانهم أول من أصدر أطلسا وطنيا في العصر الحديث . بالرغم من ان هذا الاطلس صدر في ظل الاحتلال الروسي لفنلندا . ومن الجدير بالذكر انه صدر في مقدمة هذا الاطلس تحديدا للهدف من اصداره هو (مساعدة سكان فنلندا على معرفة أنفسهم ومعرفة بلادهم)^(٩) . ولذا فقد صدرت حتى عام ١٩٦٠ م أربع طبعات من هذا الأطلس ١٨٩٩ ، ١٩١١ ، ١٩٢٥ ، ١٩٦٠ م ،

فالأطلس الوطني موسوعة تفصيلية عن أوضاع أي بلد مترجمة على شكل خرائط ولا غنى لكل مخطط أو باحث عنه . وربما تصدر معه مجلدات توضيحية تشرح كل خارطة أو مجموعة خرائط . والأطلس الوطني يعتبر احدي علامات التقدم لأي بلد لما تتمتع به خرائطه من شمولية كما سيتبين عن عرض المحتويات . وتعتبر خرائطه مرتكزا لكثير من المشاريع والخطط التنموية .

فالخارطة بمثابة الدليل الذي يستخدمه المتكف والسائح والمخطط والسياسي والاداري والعسكري في آن واحد .

الأطلس الوطني العراقي / تصورات ومقترحات :

- (١) أما تصوري للأطلس الوطني العراقي فانه يمكن انشاء دائرة تتبع الى مجلس قيادة الثورة أو ديوان رئاسة الجمهورية تسمى دائرة الأطلس الوطني على رأسها مستشار بدرجة وزير ، وذلك لان الأطلس الوطني موسوعة لا يمكن اعداد خرائطها ورسمها الا اذا توفرت معلومات دقيقة ، وحتى أحيانا سرية لا تكتمل تلك الخرائط . فاذا ما جرى التكتم على تلك المعلومات أو حجبها فان الخارطة تبقى ناقصة أو غير دقيقة بدونها ، وقد يتعطل اصدارها . ونظرا لشمولية الأطلس لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية فيجب تجميع المعلومات من جميع الدوائر والوزارات التي تجري المخاطبات الى الوزير مباشرة .
- (٢) يتكون كادر الأطلس الوطني مجموعتين رئيسيتين . الاولى وهم المحررون والاداريون وهم قلة ، والمجموعة الثانية من الفنيين وهم الأكثر لان طابع هذه الدائرة يجب ان يكون فنيا بالدرجة الاولى .
- (٣) تزود دائرة الأطلس الوطني بحاسوب متطور يجري تخزين المعلومات المطلوبة فيه وتجميعها ، اضافة الى أرشفة المعلومات وربما استخدم الحاسوب في اعداد بعض الخرائط .
- (٤) يفضل ان يتم اعداد الخرائط بشكل يديوي بسيط أولا ثم يصار الى الطبع الاولى على شكل لوحات تجريبية توزع ثم تدقق بعد استلام الردود عليها .
- (٥) يفضل ان يكون هنالك ممثلون دائمون في هيئة التحرير من جميع الوزارات والدوائر المعنية كضباط ارتباط ومنسقون مع الوزارات والدوائر ولا ينتدبون بشكل مؤقت .
- (٦) اقترح ان تعد اطالس الأساس للأطلس الوطني العامة بمستوى خرائط ذات مقاييس مليونية ثم يجري تصغيرها بحجم الأطلس .

- (٧) الرصيد المالي ضروري وان لا يبخل بالتكاليف لان الأطلس الوطني من علامات تقدم البلد وهو مشروع طويل الأمد وقد تجدد معلوماته باستمرار .
- (٨) لا يجب ان ينظر الى الأطلس على انه نتاج ثقافي ثانوي بل يؤخذ بجديّة ، لأن كثيرا من الجوامب التخطيطية والتنموية في البلد تعتمد على خرائطه .
- (٩) قد يكون سعر الأطلس وتكاليفه عالية مرتفعة ولذا فقد يصعب على المواطنين اقتناؤه ولكن كثيرا من الدوائر والمؤسسات والشركات سوف تستفيد منه فيزداد الطلب عليه .

الموضوعات المقترحة :

- أما الموضوعات التي يمكن ان يضمها الأطلس فهي :
- (١) خرائط تمثل مواقع العراق بالنسبة للعالم والوطن العربي والجزيرة العربية .
- (٢) خرائط تاريخية عن العراق وتطور الخرائط فيه عبر العصور .
- (٣) الخرائط الطبوغرافية والتضاريسية .
- (٤) الخرائط الجيومورفولوجية والتربة .
- (٥) الخرائط الجيولوجية والثروة المعدنية مزودة بمقاطع .
- (٦) الخرائط المناخية ، الضغط الجوي ، المطر ، الحرارة ، الرياح ، الرطوبة النسبية .
- (٧) خرائط الموارد المائية .
- (٨) خرائط النبات الطبيعي والغابات .
- (٩) خرائط الثروة الحيوانية والثروة السمكية .
- (١٠) خرائط السكان والسكن .
- (١١) خرائط الانتاج الزراعي .
- (١٢) خرائط توزيع الصناعة والقوى العاملة .
- (١٣) خرائط التجارة الدولية والنقل البري والمائي والجوي .
- (١٤) خرائط الخدمات : التعليم ، الصحة ، السياحة ، الخدمات البريدية .
- (١٥) خرائط استعمالات الارض .

(١٦) خرائط مختارة لمدين وخاصة بغداد ، البصرة ، الموصل ، ومراكز المحافظات .

(١٧) خرائط المستوطنات الريفية .

وقد تزود كل لوحة أو مجموعة خرائط بمذكرات توضيحية .

ان مشروع الأطلس الوطني العراقي مشروحا طموحا خياليا حتى في مرحلتنا الحاضرة (مرحلة الحصار) وذلك لأن كثيرا من خرائطه قد تمّ اعدادها فعلا في دوائر المساحة المدنية والمساحة العسكرية ودائرة المسح الجيولوجي والتحري المعدني ، ولدى دوائر وزارة الري والزراعة والصناعة . وهكذا اقترح ان يلحق في كل وزارة دائرة كارتوكرافية تعد خرائطها الخاصة . فعلى سبيل المثال يُفتقر الى خرائط تمثل توزيع السكان الفعلي على مستوى العراق بالرغم من اجراء احصاءات سكانية عديدة منذ عام (١٩٣٤ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٧) ولكن لا توجد الا خارطة واحدة مُنثل عليها توزيع السكان عام ١٩٤٧ . اذ لم توجد دائرة كارتوكرافية في وزارة الشؤون الاجتماعية سابقا أو العمل حاليا .

واخيرا قد يتبادر الى الذهن ان الدعوة الى أطلس وطني تخفي في ثناياها نظرة قطرية ضيقة . ان ذلك مرفوض لانه يمكن اصدار أطلس تفصيلي عن أية منطقة داخل العراق ، كأحدى المحافظات مثلا ، وقد سبقت الاشارة الى ان بارثليمو أصدر أطلسا عن اسكتلندا منذ عام ١٨٩٥ م فلم تهتز وحدة المملكة المتحدة ولم يعاب عليه ذلك . وأرى عكس ذلك ان الأطلس الوطنية لو وجدت في الأقطار العربية لسهلت مهمة اصدار أطلس قومي للوطن العربي .

الهوامش :

- (١) الدكتور ماهر عبد الحميد اللبثي ، أطلس اسرائيل ، عرض وتحليل المجلة الجمعية الجغرافية تصدرها الجمعية الجغرافية المصرية ، السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٥ - ١١٩ .
- (٢) أمانة التخطيط / مصلحة المساحة الليبية ، الأطلس الوطني للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، مطابع شركة ايسلت لخدمة الخرائط ، استكهولم ، السويد ، تحت اشراف مصلحة المساحة الليبية ، الطبعة الاولى ، طرابلس .
- (3) Atlas of Isrel , Cartography, physical Geography Human and Economic Geography Survey , Ministry of Labour, Jerusalem and Elsevier Publishing Company Amstardam , 2 (English) Ed. , 1970 .
- (٤) أطلس العراق الابتدائي ، تحت اشراة الدكتور جاسم الخلف ومحمد أحمد المهنا .
- (٥) أطلس العراق التعليمي ، اصدار مركز دراسات علم الخرائط ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، الدكاور ابراهيم القصاب وجماعته ، ١٩٨٧ .
- (٦) أطلس العراق الاداري ، تحت اشراف الدكتور أحمد سوسة ، ١٩٦٠ .
- (٧) يرجع تاريخ رسمها الى ٢٥٠٠ ق . م ، راجع الدكتور صبحي عبد الحكيم والدكتور ماهر اللبثي ، علم الخرائط ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤ . وكذلك العراق في الخوارط القديمة للدكتور أحمد سوسة ، من اصدارات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٠ .
- (٨) محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٩٥ .
- (٩) تي. دبليو. فريمان، قرن من التطور الجغرافي ، تعريب الدكتور شاكر خصباك ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٦٠ .